« المعتزلة : نشأة ومعتقداً »

☜ إعـــداد

د / عيسى عبـدالله علـي

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة قطر

المقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى ، والذي أخرج المرعى فجعله غثاءً أحوى ، مقدر الأقدار ومسير الأقدار ، ومبدل الليل والنهار، وناصر جنده وهازم الكفار ، والصلاة والسلام على النبي العلم والرسول المختار،وعلى آله وصحبه الميامين الأطهار ... وبعد .

سنوات من عمر الإسلام قليلة تلك التي عاشها الرسول – صلى الله عليه وسلم – بين أصحابه وأمته بعد أن منّ الله عليهم بالفتح والتمكين ولكنها سنة الله تعالى في خلقه وأممه وأنبيائه والدنيا كلها ،إذ لابد من الرحيل ، ولابد للمسيرة من الاستمرار ،بعد أن يؤدي الرسل والأنبياء ما عليهم ... نعم لن تكون المسيرة هي ذاتها بأبعادها ودقتها وسيعتريها بعض الخلل والانحراف ، ولكن لابد للسنة الكونية من المسير في طريقها ،ولابد للموت في النهاية من العمل في أرواح المصلحين ، والأنبياء في النهاية مهما عظمت درجتهم وارتفعت مكانتهم هم عباد الله وخلق من خلقه يجري في حقهم ما يجري في الحق عامة العباد ، أقصد الموت .

ورحل رسول الله حسب هذه السنة الكونية الإلهية ، ورحل بعد أن أتم الله عليه النعمة وأكمل الدين للأمة ، فتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، وترك فيهم كتاب الله وسنة رسوله يسترشدون بهما وينتهجونهما نهجاً كاملاً للحياة ، من زاغ عنهما فقد زاغ عن الهدى وضل السبيل ، ولا يزيغ عنهما إلا هالك.

ويحمل عبء الدعوة والتبليغ من بعده – صلى الله عليه وسلم – رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، رجال لا يخافون في الله لومة لائم ،يبلغون ويفتحون ويجاهدون. فارتفع الدين وعلا شأنه كما كان عليه في عصر الصادق المصدوق ، وانتشر الإسلام في الأرض ، وانفتحت الدنيا أمام المسلمين وتحطمت كل القلاع العاتية على صخور الفتح الإسلامي ، ودخلت

الأمم الأجنبية والعناصر المختلفة من الملل السابقة في الإسلام واحتكت الشعوب الإسلامية بهذه الأمم الإفرنجية والفارسية والملل المتعددة ودخلت الفلسفات في العرب ، واحتكت الأفكار الغير عربية وإسلامية التي وجدت عند البلدان المفتوحة بأفكار المسلمين ، وظهرت الثقافات اليونانية والإغريقية من فارس والروم والعناصر الجديدة في الإسلام .

نعم ، يمكننا القول أن الانفتاح على ثقافات الآخرين أمر مهم ، كما نبه على ذلك ابن تيمية – مثلا – في منهجه التربوي ، ولكن أن نتأثر بهذه الأفكار وندخلها إلى الدين كقواعد يحتج بها ، فإن هذا هو الأمر الغير مقبول .ولعل هذا هو ما حصل بالفعل في القرون الأولى من الإسلام ، إذ تأثر بعض المسلمين بأفكار هؤلاء الداخلين الجدد في الدين ، وأدخلوا الفلسفات والكلام إلى علوم الدين وبدأوا في فبركة الحجج والأدلة على صدق مذهبهم – الخليطي – واستطاعوا بمهارة وقوة في الإقناع والمحاججة أن يجعلوها مذاهب ويجمعوا حولها الطلاب والتلاميذ والعلماء والمتكلمين .

أولئك كانوا هم المعتزلة ، أصحاب القول بالعدل وغيره ، والقائلين بالقدم ، والسائرين في طريقهم المذهبي على أصول يونانية إغريقية ، أدخلوها للدين نتيجة للفلسفات التي تعلموها وتدارسوها عن أفلاطون وسقراط وأرسطوطاليس وغيرهم من فلاسفة اليونان القدماء ، إلى جانب بعض الخلط والغلط الذي نتج عن سوء فهمهم لمسائل الدين ، واستغلوا لنشر هذا المذهب ما منحهم الله من مهارات كلامية وأساليب بيانية وقوة محاججة ، فانتشر مذهبهم أيما انتشار حتى وجد له دولة وناصرة خلفاء .

وللحق فإن المعتزلة كانوا في بدايتهم أصحاب فكر جدلي منطقي متحمس وثقافة واسعة ناقدة استخدموها في الدفاع عن العقيدة الإسلامية وفي مواجهة خصوم الإسلام خصوصاً من أصحاب الأديان المنسوخة وبعض أصحاب الثقافات الدينية الوثنية الذين دخلوا بتراثهم إلى الإسلام وأرادوا

نشره بين المسلمين ، فكان للمعتزلة في البداية ، جهد مشكور ودور محمود ونجاح مشهود في هذا المضمار . ولأن الخصم في الطرف المقابل يرفض القبول بالنقل عن نصوص الإسلام كحجة عليه ، والمعتزلة يرفضون نصوص عقيدته أو ثقافته كحجة عليهم أو على الإسلام ، كان لا بد من لجوء الطرفين إلى الأدلة العقلية المحضة في المجادلة والحجاج ،وكان النصر في الغالب حليف المعتزلة على خصومهم من أصحاب الأديان المنسوخة والنحل الوثنية. لكن طول الجدل والحجاج بالأدلة العقلية أدى بالمعتزلة إلى حالة من العدوى المزمنة وإلى نوع من الشطط والإفراط والإغراق في استخدام تلك الفرضيات والنظريات والبراهين العقلية ، واتجه بهم إلى الركون المطلق على العقل فقط ورفض – أو على الأقل – استبعاد النقل من نصوص القرآن والسنة في مسائل العقيدة ، وإلى تطرف وتعصب ممقوت وإلى تقديس للعقل وإعجاب بالنفس واستعلاء على الغير فتعسفوا وتنطعوا كثيراً وبشكل أدى بهم إلى انحرافات خطرة كان من أبرزها رفض الأدلة النقلية من نصوص المصادر الإسلامية في مسائل العقيدة بل ومخالفتها في كثير من الأحيان من النقيض إلى النقيض وإلى الاستقواء بالحكام الذين ذهبوا مذهبهم لفرض معتقداتهم كما حصل في قضية خلق القرآن في عهد المأمون العباسي وغيرها من أصولهم الخمسة ، حين فرضوها على العلماء والعامة بسوط السلطان وقهر القوة وإرهاب الدولة .

من هنا كانت المعتزلة من الفرق القوية التي ظهرت في تاريخ الإسلام وكان مذهبهم من المذاهب التي وجدت رواجاً وحدث بشأنها قضايا كبيرة في تاريخ العقيدة الإسلامية ، كأعظم قضية تعرض لها الفكر العقدي في تاريخ الدولة العباسية ، قضية خلق القرآن ، التي أبدعها المعتزلة تطوراً للقياس على ما ذهبوا إليه من مذهب في صفات الله تعالى .

فدراسة هذه الفرقة أمر بالغ الأهمية ، والوقوف على نشأتها وعقيدتها هو من الأهمية بمكان لطالب العلم الشرعي ، ليتسنى له التعرف على أصول المسائل وحقائق الاختلافات وطرق الوقوف على المبتدع والمتقول في الدين من طريق المتكلمين ، حتى لا يغتر بفصاحتهم أو قوة محاججتهم .

ولعلنا في هذه الصفحات نكون قد بلغنا القصد من الدراسة لفرقة المعتزلة بالوقوف على كل ما يتعلق بهم وما دار حولهم من مسائل وقضايا ، سواء في النشأة أو المعتقد.

والله تعالى نسأله التوفيق والسداد والرشاد إنه نعم المولى ونعم النصير وهو على كل شيء قدير .

الفصل الأول

نشأة المعتزلة وأصول الاعتزال

من هم المعتزلة:-

المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي ، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة . وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها :

المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقصد والوعيدية (١).

وهي فرقة إسلامية كلامية من أهل السنة ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري . في خلافة الدولة الأموية وازدهرت في العصر العباسي . إذ وجدت من يؤيدها من خلفاء بني العباس فكان ذلك دور كبير في ظهورها ونشر فكرها ومذهبها (٢)

نشأة المعتزلة :-

هناك مجموعة من الآراء التي أوردها الباحثون في نشأة المعتزلة . وهي على اختلافها وعلى ما قيل من أصول النشأة هذه إلا أن هناك شبه اتفاق على نقطة مهمة في نشأة المعتزلة كفرقة مذهبية متكلمة ولها علماء ومنازعون .

هذه النقطة هي أن واصل بن عطاء هو رأس فرقة المعتزلة وهو صاحب البداية الحقيقية للفرقة . ويتناقل الباحثون في هذا الصدد قصة واصل في مجلس الحسن البصري . وهذه القصة كما رواها الشهر ستاني تقول إنه : (دخل شخص على الحسن البصري فقال له : يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر . والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة ، وهم وعيدية الخوارج وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر . والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان ... وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك

اعتقاداً ؟ فتفكر الحسن في ذلك ، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء : أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافراً مطلقاً ، بل هو في منزلة بين المنزلتين ، لا مؤمن ولا كافر ، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن ، فقال الحسن : اعتزل عنا واصل فسمي هو وأصحابه معتزله) (٣) ، وأما الأسفراييني فيرى أنهم سموا معتزلة لا عتزالهم مجلسه (الحسن البصري) واعتزالهم قول المسلمين (٤). ولكن هناك رواية أخرى تنسب كلمة الاعتزال إلى عمرو بن عبيد ، فالمقريزي والسمعاني يوردان الأمر على هذه الصورة " المعتزلي هذه النسبة إلى الاعتزال وهو الاجتناب والجماعة المعروفة بهذه العقيدة إنما سموا بهذا لأن أبا عثمان عمرو بن عبيد البصري أحدث ما أحدث من البدع، واعتزل مجلس الحسن البصري وجماعة معه فسموا المعتزله .(٥)

مسميات المعتزلة :-

وأما عن الآراء التي أوردها الباحثون حول المسمى والتي فيها اختلاف فيما بينهم ، فقد قيل في غير مذهب واصل ، أنهم سموا معتزلة لما سرى فيهم من زهد واعتزالهم الناس (٦) .

ويرى بعض العلماء أن أصل بدء الاعتزال كان في زمان الخليفة الراشد علي – رضي الله عنه – حينما اعتزل جماعة من الصحابة كانوا معه السياسة ، وتركوا الخوض في تلك الخلافات التي نجمت بين علي ومعاوية – رضي الله عنهما – وهذا القول باطل لا صحة له (٧) .

وقال البعض بأنهم سموا بهذا لأنهم ابتعدوا عن المنازعات الناشئة بين الخوارج وخصومهم من أهل السنة والشيعة ، فقد وقفوا على الحياد لا ينصرون فريقاً على فريق (٨)

وهناك أسماء تطلق على المعتزلة غير هذا الاسم ، وبيانها (٩) :-

* تسمية المعتزلة جهمية : ولهذا الاتفاق بين المعتزلة والجهمية في تلك المسائل العقدية ، ولسبق الجهمية في الظهور، أطلق العلماء اسم الجهمية على المعتزلة ، وذلك لأن المعتزلة هم الذين أحيوا آراء الجهمية في مبدأ ظهورهم ، حيث جاء المعتزلة ونفخوا في رمادهم وصيروها جمراً من جديد، ومن هنا استحق المعتزلة أن يطلق عليهم جهمية ، فالجهمية أعم من المعتزلة فكل معتزلي جهمي ، وليس كل جهمي معتزلياً .

* تسميتهم بالقدرية : بسبب موافقتهم القدرية في إنكار القدر وإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم ، وهم لا يرضون بهذا الاسم ويرون أنه ينبغي أن يطلق على الذين يقولون بالقدر خيره وشره من الله تعالى لا عليهم ، لأنهم لا يقولون بذلك ، بل يقولون بأن الناس هم الذين يقدرون أعمالهم . ولكن ابن قتيبه يرد عليهم ويرى أن نفي المعتزلة للقدر من الله تعالى وإضافته إلى أنفسهم يوجب أن يسموا قدرية ، لأن مدعي الشيء لنفسه أحق أن ينسب إليه ،وكان أول المتكلمين في القدر والمقررين له معبد الجهني وغيلان الدمشقي .

* ومن أسمائهم الثنوية والمجوسية : وهم ينفرون من هذا الاسم ، والذي حمل المخالفين لهم على تسميتهم به هو مذهب المعتزلة نفسه ، الذي يقرر أن الخير من الله والشر من العبد ، وهو يشبه مذهب الثنوية والمجوس الذي يقرر وجود إلهين : أحدهما للخير وآخر للشر .

* الوعيدية : وهو ما اشتهروا به من قولهم بإنفاذ الوعد والوعيد لا محالة ، وأن الله تعالى لا خلف في وعده ووعيده ، فلابد من عقاب المذنب إلا أن يتوب قبل الموت .

* المعطلة : وهو اسم للجهمية أيضاً ثم أطلق على المعتزلة لموافقتهم الجهمية في نفي الصفات وتعطيلها وتأويل ما لا يتوافق مع مذهبهم من نصوص الكتاب والسنة ، وإذا كانت تلك الأسماء لم يرتاحوا إليها ولا يحبون

التسمية بها ، والقصد من ذكر هذه الألقاب المتعددة أن يعرف القارئ أن المعتزلة هم المقصودون إن ورد اسم من هذه الأسماء في كتاب من كتب الفرق وأصحاب المقالات من الخصوم ، أما بصدد البحث الموضوعي ،فلا يشار إليهم إلا تحت اسم المعتزلة . فإن هناك أسماء أخر اختاروها لأنفسهم وأخذوا يدللون على الأفضل وتلك الأسماء هي (١٠)

* المعتزلة : وقد سبق أنه اسم ذم وهو كذلك إلا أن المعتزلة حينما رأوا ولع الناس بتسميتهم به أخذوا يدللون على أنه اسم مدح بمعنى الاعتزال عن الشرور والمحدثات واعتزال الفتن والمبتدعين على حد قوله تعالى " واهجرهم هجراً جميلاً " سورة المزمل الآية (١٠) .

* أهل العدل والتوحيد أو " العدلية " والعدل عندهم يعني نفي القدر عن الله تعالى ، أو أن تضاف إليه أفعال العباد القبيحة ، والتوحيد عندهم يعني نفي الصفات عن الله تعالى ، وتسميتهم بالعدلية اسم مدح اخترعوه لأنفسهم .

* أهل الحق : لأنهم يعتبرون أنفسهم على الحق ومن عداهم على الباطل .

* الفرقة الناجية : لينطبق عليهم ما ورد في فضائل هذه الفرقة .

* المنزهون الله : لزعمهم حين نفوا الصفات أنهم ينزهون الله ، وأطلقوا على من عداهم وخصوصاً أهل السنة أسماء جائرة كاذبة مثل : القدرية – المجيزة – المشبهة – الحشوية – النابتة .

جذور المعتزلة :-

في هذا المبحث سنقف على قضية هامة حول نشأة المعتزلة ، وهي جذور هذه النشأة ، ومدى صحة ما ذهب إليه البعض بأن المعتزلة هي انعكاس لفكر يوناني قديم ، أو أنها نتاج فلاسفة اليونان ، ورغم أننا سنستفيض في الحديث عن فكر المعتزلة في الفصل الثاني من هذا البحث ، إلا أننا جردنا فيه الكلام لفكر المعتزلة من الناحية المنهجية دون العقدية غالباً وفي النقاط التالية سنورد جميع الآراء التي فرضت للأصول العقدية عن المعتزلة ،

والتي أرجعها البعض للنصرانية ، والبعض لليهودية ، والبعض للاحتكاك بالشعوب الداخلة حديثاً في الإسلام وما تحمل من ترسبات عقدية ، والبعض لم يشك لحظة في كونها ناشئة من فلسفات أرسطو وأرسطوطاليس وغيرها من فلاسفة اليونان .

وجميع هذه الآراء يوردها " الشهرستاني " " عواجي " " وحسن إبراهيم " ونقلتها عنهم موسوعة الفرق الالكترونية محددة في النقاط التالية (١١)

* أول ما يروى في هذا الباب أن فكر المعتزلة في الصفات يرجع إلى أصول يهودية فلسفية فالجعد بن درهم أخذ فكره عن أبان بن سمعان وأخذها أبان عن طالوت وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي .

* وقيل : إن مناقشات الجهم بن صفوان مع فرقة السمنية – وهي فرقة هندية تؤمن بالتناسخ – قد أدت إلى تشكيكه في دينه وابتداعه لنفي الصفات.

* إن فكر يوحنا الدمشقي وأقواله تعد مورداً من موارد الفكر الاعتزالي ، إذ أنه كان يقول بالأصلح ونفي الصفات الأزلية حرية الإرادة الإنسانية .

* ونفي القدر عند المعتزلة الذي ظهر على يد الجهني وغيلان الدمشقي قيل أنهما أخذاه عن نصراني يدعى أبو يونس سنسوية وقد أخذ عمرو بن عبيد صاحب واصل بن عطاء فكرة نفي القدر عن معبد الجهني .

* ورأي يقول بتأثر المعتزلة بفلاسفة اليونان في موضوع الذات والصفات،فمن ذلك قول أنباد بن قليس الفيلسوف اليوناني " إن الباري تعالى لم يزل هويته فقط وهو العلم المحض وهو الإرادة المحضه وهو الجود والعزة ، والقدرة والعدل والخير والحق ، لا أن هناك قوى مسماة بهذه الأسماء بل هي هو ، وهو هذه كلها ".

* وكذلك قول أرسطو طاليس " إن الباري علم كله قدرة كله ، حياة كله ، بصر كله"

* فأخذ شيخ المعتزلة العلاف الهذلي هذه الأفكار وقال : إن الله عالم بعلم وعلمه ذاته قادر بقدرة وقدرته ذاته ، حي بحياة وحياته ذاته .

* ثم تابع النظام فأخذ من ملاحدة الفلاسفة قولهم بإبطال الجزء الذي لا يتجزأ وبنى عليه قوله بالطفرة ، أي أن الجسم يمكن أن يكون في مكان (أ) ثم يصبح في مكان (ج) دون أن يمر في (ب) .

* ورأي يقول إن أحمد بن خابط والفضل الحدثي وهما من أصحاب النظام قد طالعا كتب الفلاسفة ومزجا الفكر الفلسفي مع الفكر النصراني مع الفكر الهندي وقالا بما يلي :-

١- إن المسيح هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة .

٢- إن المسيح تدرع بالجسد الجسماني وهو الكلمة القديمة المتجسدة .

٣- القول بالتناسخ .

٤- حملا كل ما ورد في الخبر عن رؤية الله تعالى على رؤية العقل الأول هو أول مبتدع وهو العقل الفعال الذي منه تفيض الصور على الموجودات .

* يؤكد العلماء تأثير الفلسفة اليونانية على فكر المعتزلة بما قام به الجاحظ وهو من مصنفي المعتزلة ومفكريهم فقد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة وتمذهب بمذهبهم – حتى إنه خلط وروج كثيراً من مقالاتهم بعبارته البليغة .

* ومنهم من يرجع فكر المعتزلة إلى الجذور الفكرية والعقدية في العراق – حيث نشأ المعتزلة – الذي يسكنه عدة فرق تنتهي إلى طوائف مختلفة ، فبعضهم ينتهي إلى الكلدان وبعضهم إلى الفرس وبعضهم نصارى وبعضهم يهود وبعضهم مجوس . وقد دخل هؤلاء في الإسلام وبعضهم قد فهمه على ضوء معلوماته القديمة وخلفيته الثقافية والدينية .

ويمكننا أن نورد هنا سردًا سريعًا لأهم ما ظهر من أفكار اعتزالية قبل بروز المعتزلة كفرقة ، والتي بدأت تقريباً مع القول بالحرية والاختيار في الأفعال الإنسانية، وإن الإنسان هو الذي يخلق أفعاله وكان صاحبها معبد الجهني ، قد مات مقتولاً لخروجه على عبدالملك بن مروان وفكره الذي أراد أن ينشأ به دولة جديدة . ثم القول بحرية الإرادة والتي نادى به غيلان الدمشقي وقتله هشام بن عبدالملك في خلافته . ثم القول بخلق القرآن والذي ظهر

بداية مع الجهم بن صفوان ، وقتل بها وبغيرها . ثم خرج الجعد بن درهم بالنفي للصفات فقتله القسري بالكوفة على مقولته ، وجميع هؤلاء كانوا في الغالب يخرجون بأفكارهم في حركات سياسية وثورات على الدولة الحاكمة وسيكون هناك استفاضة لحد ما في القول باخذ أصول المذهب عن النصرانية والفلاسفة اليونان ، في مجمل الحديث عن الفكر الاعتزالي في الفصل الثاني.

طبقات المعتزلة :-

ينبغي قبل أن نورد طبقات المعتزلة أن نوضح رأيهم في النشأة أو الأصول الاعتزالية لهم .

فالقاضي عبدالجبار الهمذاني في طبقات المعتزلة يذهب إلى أن الاعتزال ليس مذهباً جديداً أو أمراً مستحدثاً ، وإنما هو استمرار لما كان عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم وصحابته – وقد لحقهم هذا الاسم بسبب اعتزالهم الشر لقوله تعالى " وأعتزلكم وما تدعون " (مريم ٤٨) ولقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – " من اعتزل الشر سقط في الخير " (١٢) وبما روى عنه – صلى الله عليه وسلم – بطريق سفيان الثوري " ستفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة ، أبرها وأتقاها الفئة المعتزلة " (١٣).

والواضح أن المعتزلة قد فاقوا كل حد في الكلام والاستدلال ، وهي الصنعة التي تغلبوا بها على من سواهم ، فها هم يطوعون النصوص القرآنية – كما رأينا في تأويل القاضي عبدالجبار للآية الكريمة – للاستدلال بها على شرعية مذهبهم واعتقادهم والقاضي عبدالجبار نفسه عندما أرّخ للمعتزلة في طبقاته،بدأها بالإمام علي ابن أبي طالب – رضي الله عنه – ذاهباً بذلك للقول بأخذ الاعتزال عنه . وفي هذه القضية أخذ وعطاء واسع المجال وخصوصاً عندما تعرض الشيعة لهذا الرأي ، فقالوا بأن المعتزلة لا أصل لهم من أجل ذلك يتمسحون بالإمام علي – رضي الله عنه .

وأما طبقات المعتزلة كما أوردها القاضي عبدالجبار فهي (١٤) .

١- الطبقة الأولى : علي وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس ، رضوان الله عليهم أجمعين .

٢- الطبقة الثانية : الحسن والحسين رضي الله عنهما .

٣- الطبقة الثالثة: الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام ، عبدالله بن الحسن بن علي عليه السلام ، زيد بن علي عليه السلام .

٤- الطبقة الرابعة غيلان الدمشقي ، واصل بن عطاء ، عمرو بن عبيد .

٥- الطبقة الخامسة : أبو إسحاق النظام .

٦- الطبقة السادسة : أبو الهذيل العلاف ، بشر بن المعتمر ، معمر بن عباد.

٧- الطبقة السابعة : عمرو بن بحر الجاحظ ، أبو يعقوب الشحام ، صالح قبه ، أبو جعفر الإسكافي ، أبو علي الأسواري .

٨- الطبقة الثامنة : أبو علي الجبائي ، أبو الحسين الخياط ، أبو القاسم الكعبي ، ابن الراوندي .

٩- الطبقة التاسعة : أبو هاشم الجبائي .

١٠- الطبقة العاشرة : أبو القاسم السيرافي ، أحمد بن أبي هاشم الجبائي ، أبو بكر البخاري .

فرق المعتزلة:-

بحصر الفرق التي ورد ذكرها في المصادر ، والتي يعدها الباحثون من فرق المعتزلة ، فقد وجدناها عشرين فرقة ، وهي الواصلية – الهذيلية – النظامية – المعمرية – البشرية الأسوارية – الهاشمية – المردارية البهشمية – الثمامية – الجاحظية – الشجامية – الجعفرية – الإسكافية الخياطية – الكعبية – الجبائية – الخابطية – الحمارية – العمروية – الحدثية .

الفصل الثاني

المعتزلة وعلم الكلام

دراسة في فكر المعتزلة

أسباب وعوامل النشأة للفكر الاعتزالي :-

ظهر الفكر الكلامي الاعتزالي كلون متميز قائم بالاحتجاج للعقيدة أوائل القرن الثاني على يد المعتزلة ، وإن كانت المطارحة العقلية في مسائل ذات صبغة عقدية ظهرت قبل ذلك بنصف قرن ، حينما وقع التداول في (مرتكب الكبيرة) وفي (القدر) مما يمكن أن يعتبر إرهاصاً مبكراً للفكر الكلامي .

ولم تكن هذه النشأة إلا استجابة لضرورات واقعية ملحة تمثلت في مشكلات سياسية واجتماعية نجمت في حياة المسلمين ، وباتت تهدد باستفحالها المطرد البناء الديني الذي قام عليه المجتمع الإسلامي ، كما تمثلت في تحديات دينيه وفلسفية من أهل الأديان والفلسفات القديمة باتت تروج بين المسلمين وتهدد بنية العقيدة الإسلامية . فهذه المشكلات والتحديات دفعت الفكر الإسلامي في سبيل الدفاع عن مرجعيته العقدية إلى أن يتجه إلى معالجتها معالجة كلامية ، فكانت نشأة علم الكلام على يد المعتزلة بمنزلة الاستجابة لتحديات ناجمة من صميم واقع المسلمين (١٥) وعن النشأة الفعلية للمعتزلة فهناك حادثة تناقشها كتب الفرق الإسلامية على أنها تمثل المنطق الأول لنشأة فرقة المعتزلة . وإذا كنا نعتبر أن الجذور الأساسية لنشأة هذه الفرقة تضرب بأسبابها إلى ما هو أعمق من هذه الحادثة ، إلا أنه يمكن حسبانها النقطة الأخيرة التي لخصت تلك الأسباب الماضية ، وأفاضت الكأس ، فأفرزت تياراً فكرياً متميزاً هو التيار الاعتزالي الذي يمثل نشأة علم الكلام . ومن ثمة اعتبرناها ذات دلالة عميقة في هذه النشأة من حيث صلتها بالواقع ، وهي حادثة واصل بن عطاء في مجلس الحسن البصري ، والتي عرضنا لها في الفصل السابق عند الحديث عن نشأة المعتزلة .

ويبدو من هذه الحادثة أن نشوء المعتزلة وهو نفسه نشوء الفكر الكلامي كان بسبب حل مشكلة عملية تتعلق بتحديد حقيقة الايمان ، وتعيين منزلة مرتكب الكبيرة منه ، وقد كان هذا الأمر منشأ لفتنة كبيرة في المجتمع الإسلامي اتخذت لها وجهين : التذرع بالأرجاء في إتيان الآثام والمعاصي حيث لا تضر مع الإيمان معصية ، والتذرع بتكفير المذنبين وأعمال القتل فيهم كما فعل الأزارقة من الخوارج .

وقد ربط البغدادي بين هذا الواقع وبين خروج واصل بن عطاء بقوله بالمنزلة بين المنزلتين ربطاً سببياً حيث يقول (فلما ظهرت فتنة الأزارقة بالبصرة والأهواز واختلف الناس عند ذلك في أصحاب الذنوب على الوجوه الخمسة التي ذكرناها خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفرق المتقدمة وزعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر ، وجعل مع الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان (١٦) وبذلك يتأكد أن ظهور علم الكلام متمثلاً في الاعتزال كان معالجة تنظيرية عقدية لمشاكل واقعية سياسية واجتماعية كما ذهب إليه " الفونسو نلينو " (١٧).

تطور الفكر الاعتزالي :-

يقول " النجار " كان تنامي الفكر الاعتزالي في الموضوع وفي المنهج محكوماً بمقتضيات الأحوال الاجتماعية والثقافية ، كما كان ترتيب مسائله في الظهور بحسب ذلك أيضاً ، وهو ما تعكسه الكتب العقدية الأولى التي وصلتنا رغم أنها تعود إلى القرن الثالث مثل مؤلفات الأشعري والماتريدي ، فقد كانت المسائل تعرض فيها عرضاً أقرب إلى نسقها التاريخي ، وليس الترتيب الذي نجده في الكتب المتأخرة بعد القرن الخامس إلا صنعة عقليه منطقية لنظم المحصول الكلامي في سياق مدرسي .

وإذا أردنا التمثيل لذلك فإننا نجد أول المسائل الكلامية ظهوراً هي تلك المسائل ذات الصلة الوطيدة بالواقع الاجتماعي . وعلى رأس هذه المسائل

مسألتا الفعل الإنساني ومرتكب الكبيرة ، فقد كانت لهما جذور في أحداث الفتنة منتصف القرن الأول، ثم آل البحث فيهما إلى التنظير العقدي أواخر القرن من قبل القدرية والمرجئة والخوارج لتصبحا النواة الأولى في الفكر الكلامي لدى المعتزلة (١٨) .

ومسألة الألوهية المتقومة بما عرف بقضية (الذات والصفات) لم ينشأ البحث فيها إلا في القرن الثاني حينما طرحها واصل بن عطاء طرحاً غير نضيج كما وصفه الشهرستاني ، وإنما أصبحت مسألة مهمة في المداولة مع أواخر القرن الثاني مع إبراهيم النظام وأبي الهذيل العلاف المعتزليين . وكان نشوؤها متأخراً نسبياً بسبب أن القرن الأول لم يظهر فيه التحدي لعقيدة الألوهية في المنظور الإسلامي مثلما ظهر في القرن الثاني متمثلاً في عمل اليهود على نشر تجسيمهم ، والنصارى على إشاعة تثليثهم ، والمجوس على تسريب ثنائيتهم .

وقد كانت قضية النبوة أكثر تأخراً في ظهورها قضيه كلامية ، وذلك لأن التحدي الوارد فيها إنما جاء من أصحاب ديانات الهند في الأكثر وخاصة السمنية والبراهمية . ولم يكن لهذه الأديان رواج ظاهر بالبلاد الإسلامية إلا أواخر القرن الثاني ، إذ أن (يحيى بن خالد البرمكي ت ١٩٠هـ) بعث برجل إلى الهند ليأتيه بعقاقير موجودة ببلادهم ، وأن يكتب له أديانهم في كتاب ، فكتب له هذا الكتاب) ولذلك فإن القرن الثالث شهد البحث المستفيض في قضية النبوة من قبل المتكلمين دفعاً لما روجه منكرو النبوة وخاصة منهم ابن الراوندي (ت٢٩٨هـ) وأبو بكر الرازي (٣١١ هـ) (١٩).

والمسائل الطبيعية التي أصبحت جزءاً من الفكر الكلامي لم ينشأ البحث فيها إلا حينما تفشت الفلسفة اليونانية في المجال الثقافي الإسلامي من قبل الفلاسفة الإسلاميين وخاصة منهم الفارابي (ت ٣٣٩هـ)، فحينئذ أصبح علماء العقيدة يبحثون المسائل الطبيعية لاستخدامها مقدمات في إثبات العقيدة

رداً على المقولات الفلسفية اليونانية المخالفة للعقيدة الإسلامية . وهكذا يبدوا أن الفكر الكلامي كان ينمو ويتطور بالمعالجة المستجدة لما يطرأ من مشكلات واقعية بتنظير عقدي ولم يكن متولداً من فكر فلسفي مجرد .

ولكن مع هذا التطور لفكر المعتزلة الذي يدافع عنه البعض (٢٠) إلا أنه بدأ في الخلل والخروج الكبير من بوتقة التشريعات الإسلامية مما أدى لتخلي بعضهم عنه والتحول لغيره ، يقول الدكتور " فروخ" لم يبق المعتزلة مذهب واحد ، بل أصبحوا مع الأيام مذاهب متفرقة ، وكذلك تطورت آراؤهم الدينية إلى درجة خرجت معها في بعض مظاهرها عن الدين المشروع ، فأصبح من الممكن أن ينقض عليه بعض مشايعيهم ، كما حدث هذا بالفعل في أوائل القرن الرابع الهجري ، عندما انقلب أبو الحسن الأشعري (ت ٣٣٠هـ) وهو أحد المعتزلة ، انقلب عليهم وأسس المذهب الذي عرف فيما بعد باسمه (المذهب الأشعري)(٢١).

أصول قديمة للفكر الاعتزالي :-

يذهب البعض إلى كون مسائل الاعتزال لم تنشأ تقليداً للمنهج اليوناني ولا أنها في أصول تعود لليونان ، وفي هذا يقول " النجار" وليس شأنها الموضوعات الفلسفية التي كانت تطرح على المنهج اليوناني ، فليس من مسألة من المسائل الكلامية إلا تمثل رد فعل دفاعياً على حادثة ناشبة في الحياة الاجتماعية تخل بأغراض الدين فيها أو مقولة طارئة من أهل المذاهب والأديان تنال بصفة مباشرة من العقيدة الإسلامية ، ولا يند عن ذلك ما يبدو لنا اليوم من مسائل موغلة في التجريد لا تمت إلى الواقع بصلة .

ولو أردنا تأييد ذلك ببعض الشواهد من المسائل الكلامية التي تبدو أكثر تجريداً من غيرها على سبيل المثال أن قضية الفعل الإنساني بين الحرية والجبرية قد أصبحت قضية كلامية لما تفشى في المجتمع الإسلامي أواخر القرن الأول التعلل بالقدر المقدور في إتيان المعاصي واقتراب الآثام من قبل

كثير من المتحلين من قيود الشريعة ،وهو ما جاء يشكوه أحد المخلصين من المسلمين لعبدالله بن عمر قائلاً :(ظهر في زماننا رجال يزنون ، ويسرقون ، ويشربون الخمر التي حرم الله ، ثم يحتجون علينا ويقولون : كان ذلك في علم الله). وكذلك لما أصبح بعض حكام بني أميه يتعللون بالقدر في تبرير ظلمهم وبغيهم على الناس ، مثلما ذكر من أنه لما قتل عمرو بن سعيد بن العاص على عهد عبدالملك بن مروان طرحت رأسه من أعلى القصر بين يدي جمع من أصحابه كانوا يترقبونه ، وقال الذي طرحها للمترقبين :إن أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق ، والأمر النافذ لمعالجتها مسألة (الفعل الإنساني) متمثلة في القول بحرية الإنسان في فعله ومسؤوليته عليه ،وهو ما ابتدأه القدرية الأوائل : معبد الجهني ، وغيلان الدمشقي ، ثم طوره المعتزلة فأصبح أصلاً من أصولهم الخمسة سموه بأصل العدل (٢٢)

ولو انتقلنا إلى قضيتي الذات والصفات ،وخلق القرآن ، لوجدنا أنهما على ما يبدو في الظاهر من افتقادهما لمبرر الواقعي قد كان البحث فيهما رداً على محاولات مسيحية ومجوسية كانت غايتها التشويش على التوحيد الإسلامي الخالص ، وجره إلى ضرب التعددية التي قد تؤول به بمرور الزمن إلى عقيدة تعدد الآلهة .

فقد كان المسيحيون يثبتون لله الأقانيم الثلاثة ، وهي صفات الوجود والحياة والعلم ، التي تجسدت فأصبحت آلهة ثلاثة :الأب والابن والروح القدس . وكانوا يجادلون بهذه المقولة في المجتمع الإسلامي ، يرمون منها تحريف التوحيد إلى تثليث بتجسيد الصفات الإلهية ، وهو ما حدا بالمعتزلة خوفا من هذا الخطر إلى القول بأن صفات الله هي عين ذاته وليست زائدة عنها ، قطعاً في ذلك لإمكانية أن تتجسد آلهة كما يريد المسيحيون ، ومن ثمة كان مبحث الذات والصفات وفي نفس هذا السياق أيضاً كان المسيحيون يشجعون القول

بقدم القرآن كلام الله لغاية الميل بعقيدة التوحيد إلى نوع من تجسد كلام الله في مظهر مادي كما تجسدت كلمة الله في المسيح . وقد ذكر ابن النديم في هذا أن العباس البغوي قال (دخلنا على قثيون النصراني ، وكان في دار الروم بالجانب الغربي ، فجرى الحديث إلى أن سألته عن ابن كلاب ، فقال : رحم الله عبدالله ، كان يجيئني فيجلس إلى تلك الزاوية ، وعني أخذ هذا القول (إن كلام الله هو الله) ولو عاش لنصرنا المسلمين (٢٣) وبسبب خوف المعتزلة من أن يؤول القرآن إلى إله بصفة القدم طرحوا بشدة لا تخلو من المبالغة القول بخلق القرآن باعتبار أن ذلك القول يعصم من كل تعدد في هذا المجال .

وقد كان المأمون وهو الخليفة المعتزلي يكتب إلى عماله منبهاً إلى هذا الأمر حيث جاء في إحدى رسائله التي حررها وزيره أحمد بن أبي دؤاد (ومما بينه أمير المؤمنين برويته ،وطالعه بفكره ، فتبين عظيم خطره ، ما ينال المسلمون من القول في القرآن ... واشتباهه على كثير منهم حتى حسن عندهم وتزين في عقولهم ألا يكون مخلوقاً ... وضاهوا به قول النصارى في ادعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق إذ كان كلمة الله (٢٤).

وهكذا يبدو أن موضوعات الفكر الاعتزالي مهما بدت في ظاهرها عقلية مجردة فإنها في حقيقة نشأتها ، وفي صيرورتها طيلة قرون ثلاثة على الأقل (كانت تعالج واقعية حية تروم حلها على أساس عقدي يقطع النظر عما حف بتلك المعالجة من ملابسات ، وعما شابها أحيانا من مغالاة وشطط ، وتحريف وانحراف (٢٥).

منهج المعتزلة في الاستدلال :-

كان المعتزلة يستعملون الأساليب الاستدلالية التي تناسب التحديات المطروحة، ويطورون من تلك الأساليب بحسب تطور التحديات .

وقد كان الاستدلال النقلي أو الأساليب التي استعملت في الفكر المعتزلي – حيث يتخذ من نصوص القرآن والحديث شواهد على الآراء العقدية في

الحوار الدائر بين الفرق الإسلامية – تأصيلاً لهذه الآراء في أصول الوحي بطريق التأويل ، أو رد الشواهد المخالفة لها بطريق النقد لما هو ضعيف منها أو منحول . وقد ظل هذا الاستدلال النقلي مواكباً للفكر الكلامي طيلة مسيرته في الحوار الداخلي بين المسلمين (٢٦) .

ولما نجمت تحديات أهل الأديان والمذاهب في القرن الثاني نشأ لدى المتكلمين الأسلوب العقلي في الاحتجاج،ذلك أن هذه التحديات كان أهلها من النصارى والمجوس متمرسين بالفلسفة اليونانية ومنطقها الصوري،فاستخدموا آليات هذه الفلسفة للاحتجاج نصرة لمعتقداتهم ونقداً للعقيدة الإسلامية ، ولذلك بادر المعتزلة باستعمال الحجة العقلية في مقابلة هذا التحدي ، وأصبح هذا الأسلوب هو الأسلوب الغالب على الفكر الكلامي .

ولما استفحلت الفلسفة اليونانية في الساحة الإسلامية في القرن الثالث وانتشرت مقولاتهم مختلطاً فيها المسائل الميتافيزيقية بالمسائل الطبيعية في تفاعل تناصري بين النوعين ، طور الفكر الكلامي من منهجه فأدخل في دائرة اهتمامه المسائل الفلسفية والطبيعية مثل قضايا العلة والمعلول والجوهر والعرض والجوهر الفرد وأمثالها ، واستخدامها مقدمات في الاستدلال على العقيدة الإسلامية ورد الشبه الواردة عليها ،وأصبح ذلك سنة ماضية في هذا الفكر منذ أبي الهذيل العلاف (ت ٢٣٥ هـ) كما يبدو في مدونات علم الكلام بعد القرن الثالث . ويذكر " النجار " أن فكر المعتزلة كان له أكبر الأثر في رد ودحض أفكار الأديان الأخرى التي شنت هجماتها الشرسة على العقيدة الإسلامية ، فيقول :(لقد ظلت هذه الواقعية الحية صفة الفكر الاعتزالي يعالج من خلالها حادثات المشاكل الاجتماعية والثقافية في المجتمع الإسلامي . ويحقق في ذلك نتائج هامة في المحافظة على المرجعية العقدية للحياة الإسلامية ، حتى إنه لولا هذا الفكر بواقعيته لكان مصير العقيدة الإسلامية عرضة لانحرافات جمة ، نظراً إلى شدة الهجمة التي تعرضت لها جهرة وخفاء من قبل الأديان والثقافات القديمة)(٢٧) .

وهذا ما لا ينكره في الحقيقة معظم – بل كل – من أرخ للفِرَقِ ، ومن هذا ما يقوله " عواجي " (ومما يذكر للمعتزلة أنهم كانوا شوكة قوية في صد مبادئ الزندقة ، وقاموا بجهود كثيفة لنشر الإسلام ،إلا أنهم لم يحسنوا التصرف إزاء القول بخلق القرآن وغيره من المبادئ التي عجلت باضطهادهم بعد قوتهم وشدة جانبهم)(٢٨)

ولكن الانحدار أصاب الفكر الاعتزالي ، فأصبح ينزع منزع التجريد الذي ينشغل به عن مجريات الوقائع المتعلقة بالأصول العقدية بصفة مباشرة أو غير مباشرة بمجادلات نظرية في المسائل القديمة .

واحتجاجات تتعلق بتحديات ماضية ، وميل إلى التأليف والترتيب للآراء والمقولات السابقة في نسق منطقي مدرسي ، حتى أنه ليمكن القول إن الصلة كادت تفقد بين هذا الفكر وبين واقع المسلمين الذي لم يخل في أي عصر من تحديات داخلية وخارجية تهدد مرجعيته العقدية . والواضح أن فكر المعتزلة قد آل إلى الجمود البحت بعد هذا العصر وأنهم اندمجوا أو تحولوا إلى فرق أخرى .

يقول ابن خلدون في نقده للفكر الاعتزالي :(علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم ، إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا ، والائمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا ،والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا . وأما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزه الباري عن كثير من إيهاماته وإطلاقه)(٢٩) .

لقد مضى كل متكلم من المعتزلة سواء في دفاعه عن أفكاره أو عن عقيدته، مضى يتسلح في دفاعه بالفلسفة اليونانية وما يتصل بها من منطق وغير منطق ، حتى ليقول الجاحظ (ولا يكون المتكلم جامعاً لأقطار الكلام متمكناً في الصناعة حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة)(٣٠).

الفصل الثالث

معتقدات المعتزلة والرد عليهم

مجمل عقائد المعتزلة:-

علمنا بداية من العرض السابق للتاريخ والفكر أن المعتزلة ابتدأوا بفكرتين مبتدعتين ، الأولى : القول بأن الإنسان مختار بشكل مطلق في كل ما يفعل ، فهو يخلق أفعاله بنفسه ، ولذلك كان التكليف ، ومن أبرز من قال ذلك غيلان الدمشقي ، الذي أخذ يدعو إلى مقولته هذه في عهد عمر بن عبدالعزيز حتى عهد هشام بن عبدالملك ، فكانت نهايته أن قتله هشام بسبب ذلك ، والثانية : القول بأن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً ولكنه فاسق فهو بمنزلة بين المنزلتين ، هذه حاله في الدنيا أما في الآخرة فهو لا يدخل الجنة لأنه لم يعمل بعمل أهل الجنة بل هو خالد في النار ، ولا مانع عندهم من تسميته مسلماً باعتباره يظهر الإسلام وينطق بالشهادتين ولكنه لا يسمى مؤمناً .

ومن ثم تطور الفكر الاعتزالي ، ومع أن المعتزلة انخرطوا من جماعة أهل السنة ، إلا أن أفكارهم تطورت لتعارض منهجية أهل السنة على ما قدمنا من تطور للفكر والعقيدة في الفصلين السابقين . وعليه فإنه كان لابد للعلماء من الوقوف على هذا الفكر الذي اعتبروه خطراً على العقيدة الإسلامية ، وتبعاً لذلك كان عليهم تفنيده والرد عليه حتى يتضح للأمة مدى مخالفته ومعارضته لأصول الدين الثابت .

ويمكننا هنا أن نجمل عقيدة المعتزلة ، ثم نفصل بعده الحديث عن الأصول الخمسة ورد العلماء عليها (٣١) .

* اختلفوا في المكان لله تعالى .

١- فذهب بعضهم – وهم جمهورهم – إلى أن الله تعالى في كل مكان بتدبيره، وهذا قول أبي الهذيل ، والإسكافي والجبائي .

٢- وذهب آخرون إلى أن الله تعالى لا في مكان ، بل هو على ما لم يزل عليه ، وهذا هشام الفوطي وعباد بن سليمان وأبي زفر .

ذهبوا إلى أن الاستواء هو بمعنى الاستيلاء في قول الله تعالى " الرحمن على العرش استوى " (سورة طه الآية ٥) .

* اجمعوا على أن الله لا يرى بالإبصار .

* اختلفوا في صفة الكلام لله تعالى .

١- فذهب بعضهم إلى إثبات الكلام لله تعالى .

٢- وذهب بعضهم إلى إنكار ذلك .

* قالوا إن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض ، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار ، لكن عقابه يكون أخف من عقاب الكافر وسموا هذا النمط وعداً ووعيداً .

* قالوا إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان عقلاً ونقلاً ، وهما واجبان باللسان والقلب واليد .

* قالوا إن الفاسق من المسلمين بالمنزلة بين المنزلتين ، وهي أنه لا مؤمن ولا كافر .

* يعتقدون أن الله منزه عن كل قبيح ،وأن ما ثبت أنهِ قبيح ليس من فعله ولا يصف بالقدرة على ما يقبح .

* قالوا إن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة ، والرب منزه أن يضاف إليه شر أو ظلم .

* قالوا إن أصول المعرفة وشكر النعمة واجبه قبل ورود السمع ، والحسن والقبح يجب معرفتهما بالعقل كما يجب اعتناق الحسن واجتناب القبح .

وأن ورود التكاليف الإلهية ألطاف من الباري تعالى أرسلها إلى العباد بتوسط الأنبياء عليهم السلام امتحاناً واختباراً.

* بعصمة الأنبياء جميعاً وإنهم لايجوز أن تقع منهم معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة .

* اعتقدوا أن الإيمان إقرار باللسان ومعرفة وعمل بالجوارح ،وإن كل من عمل فرضاً أو نقلاً فهو إيمان ، وكلما ازداد الإنسان خيراً ازداد إيماناً وكلما عصى نقص إيمانه .

* اعتقدوا أنه ما لم يأمر الله تعالى به أو ينهي عنه من أعمال العباد لم يشأ الله شيئاً منه .

* يقولون أنه لا إمامة إلا بالنص والتعيين ظاهراً وهو رأي الفرقة النظامية .

* قالوا بعدم جواز الصلاة إلا خلف الفاضل .

* اعتقدوا أن علي بن أبي طالب هو الأفضل والأحق بالإمامة .

* إنكار الشفاعة .

بوجوب الأصلح على الله تعالى وبأن أوامر الله ونواهيه تابعة للمصالح والمفاسد وبأن أفعال العباد ليست مخلوقة لله

التوحيد عند المعتزلة :-

أركان الاعتقاد عند المعتزلة خمسة : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ومن لا يعتقد بهذه الأصول الخمسة فلا يحسب عندهم معتزلاً ، وأولها التوحيد .

وهو أهم هذه الأصول الخمسة وإليه ترجع سائر الأصول ، وقد دافع المعتزلة عن وحدانية الله وردوا على المجوسية القائلين بإلهين وأثبتوا وجود إله قديم واحد لا شريك له ، كما ردوا على الدهرية الذين أنكروا وجود الصانع (الله).

والتوحيد في اعتقاد المعتزلة هو تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين فهو ليس بجسم ولا عَرَضٍ ولا عنصر ولا جزء ولا جوهر ولا يحصره المكان ولا الزمان ، وقد أولوا آيات الصفات من مثل (يد الله فوق أيديهم) سورة الفتح

الآية (١٠) ، فمعنى اليد عندهم في الآية القدرة ، ومضوا ينفون عن الله الصفات لأنها عارض من عوارض الجسم ، فقالوا إنها عين الذات حتى لا يتعدد القديم جل جلاله ، ومن أجل ذلك نفوا عنه صفة الكلام ، ومن هنا اندفعوا للقول بخلق القرآن ، وحتى لا يظن أنه قديم ولا قديم إلا الله تعالى (٣٢) .

يقول الشهرستاني(٣٣) والذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد :القول بأن الله تعالى قديم ، والقدم أخص وصف ذاته ونفوا الصفات القديمة أصلاً فقالوا: هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية.

واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق في محل وهو حرف وصوت كتب أمثاله في المصاحف حكايات عنه فإن ما وجد في محل عرض قد فني في الحال .

واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر : ليست معاني قائمة بذاته لكن اختلفوا في وجوه وجودها ومحامل معانيها كما سيأتي .

واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار ونفى التشبيه عنه من كل وجه : ومكاناً وصورة وجسماً وتحيزاً وانتقالاً وزوالاً وتغيراً وتأثراً وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيه .وسمو هذا النمط : توحيداً.

إن الرد على المعتزلة في نفي صفات الله عز وجل مما لا يجهله أي طالب علم ، كما أن مذهب السلف في تقرير صفات الله عز وجل في أتم وضوح وأجلى حقيقة ، فإن السلف رحمهم الله يثبتون صفات الله عز وجل كما جاءت في الكتاب والسنة دون تحريف أو تأويل ، مع معرفتهم بمعانيها وتوقفهم في بيان كيفياتها ، لأنهم يؤمنون بأن الكلام في صفة كل شيء فرع عن تصور

ذاته ، والله عز وجل له ذات لا تشبه الذات ولا يعلم أحد كيفيتها ، وصفاته كذلك ثابتة على ما يليق بذاته جل وعلا (٣٤)

وهكذا ينبغي أن يكون معتقد المسلم ، يصف الله بما وصف به نفسه في كتابه الكريم ، وبما وصفه به رسوله الأمين نفياً وإثباتاً . ولايقف ما ليس له به علم ، وقد علم أن طريقة السلف تتلخص في إثبات أسماء الله وصفاته على وجه لا يوحي بأنه نوع من المماثلة والمشابهة على ضوء قول الله عز وجل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) سورة الشورى الآية ١١ ، المتضمن رد التشبيه والتمثيل ورد الإلحاد والتعطيل.

عن أبي موسى الأشعري قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فلما دنوا من المدينة كبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يا أيها الناس إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إن الذي تدعونه بينكم وبين أعناق ركابكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا موسى ألا أدلك على كنزمن كنوز الجنة فقلت وما هو قال : لا حول ولا قوة إلا بالله)(٣٥).

وصفاته عز وجل قديمة قائمة بذاته زائدة على الذات ،على التفصيل الصحيح عند السلف ، لا كما ترى الفرق المخالفة بأنها ذاته وليست بزائدة على الذات ، لكي يتم لهم نفي الصفات مطلقاً بزعم نفي التجزؤ أو التركيب أو تعدد القدماء وهو زعم باطل .

العدل عند المعتزلة :-

المعتزلة هم أهل العدل والتوحيد ، وليس هناك مسلم أيا كانت دعواه لا يؤمن بالعدل الإلهي ، ولكن الفضل يعزي إلى المعتزلة في تعميق مفاهيم المسلمين عن العدالة الإلهية استجابة لدواعي العقل والمنطق فهم في هذه المسألة مثلهم في مسألة التوحيد يتمسكون بدعوى العقل .

وبضرورة قضاياه . ويغفلون أمراً هاماً طالما أوقعهم في تناقض صريح مع أنفسهم ، ذلك أنهم بينما يرفضون النظر إلى الذات الإلهية على المستوى الإنساني من حيث الجوهر والطبيعة نجدهم من ناحية أخرى يخضعون القدرة الإلهية لموازين المنطق العقلي الإنساني ويتصورون أن ثمت حتمية عقلية يخضع لها الفعل الإلهي ، فكيف يمكن للعقل الإنساني بمنطقه المحدود أن يدرك المنطق الإلهي وأقضيته . ونحن عاجزون عن تتبع الأسباب الحقيقية لأفعالنا الإنسانية المحدودة . وعلى أية حال فإن المعتزلة كما حكموا العقل في مسألة التوحيد نراهم يفعلون نفس الشيء في مسألة العدل الإلهي .

يقول الشهرستاني (٣٦):" واتفقوا على أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة .

والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً كما لو خلق العدل كان عادلاً .

واتفقوا على أن الله تعالى لا يفعل إلا الصالح والخير ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العبد . وأما الأصلح واللطف ففي وجوبه خلاف عندهم ... وقد سموا النمط : " عدلاً " .

فالعدل عندهم هو الأصل الثاني من أصول العقيدة – عقيدة الاعتزال – ومناط فهمهم للعدل أنهم ألصقوا به فكرة خلق الإنسان لأفعاله وأنه حر في إرادته – وهي حرية ضرورية لكي يثابوا ويعاقبوا على أعمالهم دون أن يظلمهم الله مثقال ذرة ، وقد أولوا الآيات التي تدل على الجبر مثل قوله تعالى :(وما تشاءون إلا أن يشاء الله) سورة الإنسان الآية ٣٠ ، وقوله تعالى :(وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) سورة النحل الآية ١١٨ ، ودفعهم هذا القول بالصلاح والأصلح ، وأن الله لا يأمر بالشر ولا يعمل إلا ما فيه الصلاح للعباد بالصلاح والأصلح ،وأن الله لا يأمر بالشر ولا يعمل إلا ما فيه الصلاح للعباد وما هو أصلح لهم (٣٧) .

ومما لا شك فيه أن أفعال الله كلها حسنة لا قبيح فيها ، إلا أن المعتزلة ارتكبوا مغالطات واضحة في فهم النصوص .

ذلك أن الظلم الذي نفاه الله عن نفسه هو الشيء في غير موضعه أو وضع سيئات شخص على آخر ، أو أن ينقص من حسنات المحسن ، وهذا ظلم بلا شك والله منزه عنه .

والخلاف إنما هو في حقيقته في خلق كل الأشياء وكل الأفعال وأنها لا تخرج عن خلق الله وإرادته لها ، قال تعالى :(الله خالق كل شيء) سورة الزمر الآية ٦٢ وقال تعالى : (والله خلقكم وما تعلمون) سورة الصافات الآية ٩٦ وهم يقولون :الإنسان هو الذي يخلق فعله فراراً – بزعمهم – من نسبة خلق الأفعال إلى الله تعالى وإرادتها بزعمهم ولم ينظروا إلى أن الله عز وجل هو الخالق للعباد وأعمالهم ، ولا يوجب ذلك أن يكون الله تعالى هو الفاعل لأعمالهم فخلق الظلم والكذب والطاعة والمعصية ، فمن فعل الظلم بأن غش الناس أو غصب أموالهم يقال له : غاش ومغتصب ومنتهب وسارق وفاجر ... إلى آخر الصفات ولا ينسب إلى الله تعالى إلا باعتبار أقدار الله تعالى للعبد وشمول مشيئة لها لا أن الله هو الفاعل الحقيقي لتلك الجرائم ، ولذلك حين جيء بسارق إلى عمر – رضي الله عنه – قال له : لم سرقت ؟ فقال السارق : بقدر الله علي ، فقال عمر : وأنا أقطع يدك بقدر الله (٣٨)

ذلك أننا لسنا مطالبين بالوقوف على ما عند الله من الأقدار ، إنما نحن مطالبون بالقيام بالأعمال التي يريدها الله والاجتناب عما لا يريده ، ورتب الله الحدود ومصالح الناس على هذا القدر فالله تعالى أرشد عباده إلى أن يفعلوا كل ما فيه صلاحهم ، وأن مرد ذلك يعود إليهم هم ، وأن الله تعالى لا تضره معصية العاصي ولا تنفعه طاعة المطيع ، وقد كتب الله على نفسه الرحمة تفضلاً منه ، وحرم الظلم عدلاً منه .

والله تعالى يفعل بعباده الأصلح لهم ، ولكن لا يجوز القول بالوجوب عليه جل وعلا على سبيل المعاوضة كما هو الحال بين المخلوقين .

فإن العباد لا يوجبون عليه شيئاً وإنما هو الذي أوجب على نفسه تفضلاً منه وكرماً ، لا أنه يجب عليه فعل الصلاح والأصلح بمفهوم المعتزلة الذي فيه إقامة الحجة عليه إن لم يفعل بهم ذلك فإنه حسب معتقد هؤلاء يحق للكافر أن يقول : يا رب أنت خلقتني ورزقتني ومكنتني من الكفر حتى مت كافراً ، فلم أقدرتني على ذلك ولم تعاملني بالأصلح كغيري من الناس الذين ماتوا على الإسلام ؟

ويحق كذلك لمن كانت درجته نازلة في الجنة أن يقول : لما لم تمكني من الأعمال التي توصلني إلى ما وصل إليه غيري من الدرجات العلى؟(٣٩) .

ومذهب أهل السنة هو الحق ، فلا إيجاب على الله إلا ما أوجبه على نفسه تفضلاً منه وكرماً ، لأن العباد يستحقون عليه شيئاً بإيجاد أحد من خلقه عليه (٤٠).

وكذلك مسألة اللطف من الله تعالى هي من الأمور الثابتة ، لكن ليس على سبيل الإيجاب على الله تعالى كما ترى المعتزلة . بل اللطف من الله بمحض تفضله جلا وعلا وكرمه ومنّه عليه بالتوفيق إلى فعل الخيرات وترك المحذورات ، ولا يجوز القول بوجوب فعل اللطف على الله تعالى .

قال تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً) سورة النساء الآية ٨٣ .

فقد لطف الله بعباده إذ لم يتبعوا الشيطان جملة ،حيث بصرهم بعواقب طاعة الشياطين وبين لهم أضرار ذلك ، ثم لطف بهم وقوى عزيمتهم على عصيان الشيطان تفضلاً منه تعالى وليس بإيجاب أحد عليه .

الوعد والوعيد :-

ومقتضى ذلك أن الوعد والوعيد أمران نافذان ، فوعد الله بالثواب ووعيده في العقاب ووعده بقبول توبة التائب أمور نافذة ، لابد من الإيمان بها ، وبذلك لا يكون العفو بغير توبة ، كما أن فاعل الخير لا بد أن ينال جزاءه من الثواب ، والمعتزلة – في ذلك – يردون على المرجئة الذين يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لاتنفع مع الكفر طاعة ، إذ لو صح ذلك لكان وعيد الله تعالى – في مقام اللغو .

الوعد والوعيد عند المعتزلة هو أن الله صادق فيما وعد من ثواب وأوعد من عقاب لا مبدل لكلماته ، وينقل " عواجي " عن القاضي عبد الجبار قوله " أما الوعد فهو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل ، ولا فرق بين أن يكون حسناً مستحقاً وبين ألا يكون كذلك ، ألا ترى أنه كما يقال : أنه تعالى وعد المطيعين بالثواب فقد يقال : وعدهم بالتفضل مع أنه غير مستحق ، وكذلك يقال : فلان وعد فلاناً بضيافة في وقت يتضيق عليه الصلاة مع أنه يكون قبيحاً (٤١)

يقول الشهرستاني (٤٢) واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضل معنى آخر وراء ثواب.

وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار وسموا هذا النمط وعداً ووعيداً .

ويرد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله " والتحقيق أن يقال إن الكتاب والسنة مشتملان على نصوص الوعد والوعيد ، كما أن ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهي ، وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه ، فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط ، لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله ،فكذلك نصوص الوعد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة . لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب وهذا متفق عليه بين المسلمين ، فإن الله قد بين بنصوص

معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات وأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، إلى أن قال :" فجعل السيئات ما يوجب رفع عقابها كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة كما أنه ليس شيء يبطل جميع الحسنات إلا الردة "(٤٣)

المنزلة بين المنزلتين :

وقد سلف الحديث عنها عند اعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري ، والمعنى أن مرتكب الكبيرة في منزلة متوسطة بين الكفر والإيمان ، وهي منزلة الفسق ، وهذا الحكم يعتبر وسطاً بين الخوارج الذين كفروا صاحب الكبيرة والمرجئة الذين اعتبروه مؤمناً ، ويقول واصل :إن صاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا على غير توبة فهو من أهل النار خالداً فيها ، لكنه يخفف عنه العذاب ، وهذا هو أصلهم الرابع حيث يقولون بمنزلة صاحب الكبيرة بين منزلتي الإيمان والكفر ، فلا هو عندهم مسلم ، ولا هو كافر ، ويشهدون له بالإسلام بناء على ظاهره ، وهم كما قال " الفونسو نالينو " أرادوا أن يتوسطوا بين قول الخوارج بكفر صاحب الكبيرة وبين رأي الحسن بكونه مؤمنًا فاسقًا ، فخرجوا برأي المنزلة بين المنزلتين (٤٤) وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :(من كانت عنده لأخيه اليوم مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون درهم ولا دينار ، أن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه ثم ألقي في النار) (٤٥) فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه ، ثم أورد حديث المفلس (٤٦) وقول الله تعالى: (إن الحسنات يذهبن السيئات) سورة هود الآية ١١٤ فدل ذلك على أنه في حال إساءته يعمل حسنات تمحو سيئاته .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:-

وهذا هو الأصل العملي الوحيد من أصولهم الخمسة ، إذ الأصول الأربعة الأولى تتعلق بالنظر والاعتقاد ، وقد مارس المعتزلة هذا الأصل عملياً ، فقد عرفت سيرة رجالهم بجهاد الزندقة والفساق ، فضلاً عن التصدي للمعترضين على الإسلام وقد التزموا الأمر والنهي عن المنكر ، لأن الزندقة كانت قد انتشرت بين الناس انتشاراً ملحوظاً ، وتعددت أوكارها ، فأصبح أمر العقيدة في خطر ، وذلك حتم المعتزلة على المسلمين – حفاظاً على الحق – أن يسارعوا إلى الأمر بالمعروف ، وهو هنا الدفاع عن الإسلام والمنافحة عنه والنهي عن المنكر ، أي محاربة الفساق والمجان والزنادقة ، ولذلك استحل المعتزلة الاستعانة بالخلفاء في القضاء على الزنادقة ، لكن استطال بهم الأمر – فيما بعد – حتى استغلوا الخلفاء في نشر مذهبهم ، وما يرونه حقاً لا مرية فيه ، مثل موضوع خلق القرآن ، حتى ولو استخدم الخلفاء في ذلك السبيل القسوة والأذى ، بل القتل أحياناً لجزم رؤوس المعتزلة آنذاك أن القول بقدم القرآن يؤدي لإثبات شريك في القدم لله عز وجل ، ويعطي الحجة للنصارى في تأليههم للمسيح ، لأنه كلمة الله . ومن هنا كانت فتنة تعميم وجوب القول ، بخلق القرآن أيام المأمون والمعتصم والواثق العباسيين كصورة من صور الشدة التي عمد إليها المعتزلة في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ولو باستخدام العنف(٤٧) وقد بين القاضي عبدالجبار حقيقية الأمر ، والنهي ، والمعروف ، والمنكر فقال : أما الأمر: فهو قول القائل لمن دونه في الرتبة: أفعل والنهي هو قول القائل لمن دونه : ولا تفعل .

وأما المعروف : فهو كل فعل عرف فاعله حسنه أو دل عليه ، ولهذا لا يقال في أفعال القديم تعالى : معروف لم يعرف حسنها ولا دل عليها .

وأما المنكر : فهو كل فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه ، ولو وقع من الله تعالى القبيح لا يقال : أنه منكر ، لما لم يعرف قبحه ولا دل عليه ".(٤٨)

وقد توافق أهل السنة والمعتزلة في حكم القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كونه من الواجبات على الكفاية ، وهو ما قرره الله تعالى في كتابه الكريم حيث قال : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) سورة آل عمران ١٠٤ إلا إنه وقع خلاف بين أهل السنة والمعتزلة فيما يلي :-

١- طريقة تغيير المنكر .

٢- أوجبوا الخروج على السلطان الجائر .

٣- حمل السلاح في وجوه المخالفين لهم سواء كانوا من الكفار أو من أصحاب المعاصي من أهل القبلة .

فأما طريقة تغيير المنكر فقد ساروا فيها عكس الحديث الذي بين فيه الرسول صلى الله عليه وسلم موقف المسلم إزاء تغيير المنكرات .

عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان (٤٩)

إذ إن تغيير المنكر عندهم يبدأ بالحسنى ثم اللسان ثم باليد ثم بالسيف بينما الحديث يرشد إلى العكس ، وهو ما يذهب إليه أهل الحق ، من أن تغيير المنكر يبدأ بالفعل باليد ، إذا لم يترتب عليه مفاسد ، والتغيير باليد هنا لايكون بالسيف ، وإنما هو إزالة المنكر بدون قتال ولا فتح باب فتنة أكبر من المنكر المراد إزالته .

فإن لم يتمكن الشخص من التغيير باليد انتقل إلى التغيير باللسان فإن وصل الحال إلى عدم الاستطاعة من التغيير باللسان بأن كان الشر هو الغالب على الخير ، فليكتف بالتغيير بالقلب من كراهة المنكر وتمنى زواله وبغضه وبغض أهله ، ومع هذا فلا مكان للسيف هنا ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرشد إليه ، ولما فيه كذلك من جرّ الأمة إلى ما هو أكبر من تغيير

ذلك المنكر بخلاف المعتزلة فإنهم لايرون حرجاً في حمل السلاح لتغيير المنكر .وأما الخروج على السلطان الجائر فقد أوجبه المعتزلة والواقع أن جور السلطان وارتكابه المعاصي لا يوجب الخروج عليه لما يترتب على ذلك من المفاسد ومن سفك الدماء وتفريق كلمة الأمة ،فإن الإسلام لايبيح الخروج عليه إلا عندما يظهر الكفر منه صراحة.

واللفظ الذي وجدناه في الحديث الشريف هو بنص الأمر والمعروف لولي الأمر ، وليس بنص الخروج عليه بالسلاح ففي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله)(٥٠).

وأما حمل السلاح في وجوه المخالفين لهم من أهل القبلة فلا دليل لهم على ذلك ،ولايجوز أن يستحل دم المسلم إلا بما حدده الشرع ، وصاحب الكبيرة ليس بكافر ، فلا يجوز قتاله واستحلال دمه ، ولم يأمر الشرع بذلك ، فيجب على المسلم الالتزام وترك تنطع الخوارج والمعتزلة .

الخاتمـــة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبـي بعـده ، خـتم الله بـه الرسـل ، وأتم به الدين ،فتركنا على المحجة البيضاء ناصعة ليلهـا كنهارهـا لايزيـغ عنهـا إلا هالك ،صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصـحبه ومـن اهتـدى بهديـه واسـتن بسنته ، وسار على نهجه .

بعد أن عرضنا لفرقة المعتزلة ، من حيـث تاريخهـا وعوامـل نـشأتها وطبيعـة فكرها وتطورها وعقائدها ، يمكن بعد ذلـك أن نلخـص أهـم نتـائج البحـث فـي النقاط التالية :-

* المعتزلة فرقة كلامية نشأت في بادئ أمرها مدافعة عـن الـدين ضـد هجمـات أعدائه من أهل الملل والنحل والأهواء ثم تطور فكرهـا الاعتزالـي لـيمس الـدين والعقيدة وينتج أفكاراً تتعارض مع عقيـدة أهـل الـسنة الـذين خرجـوا علـيهم. رغم الاختلافات التي حـصلت فـي موضـوع نـشأة المعتزلـة وأصـولها ، إلا أن هناك شبه اتفاق على أن واصل بن عطاء هـو أسـاس هـذه الفرقـة كـشخص ، أما الفكر فالحقيقة أن إسهامات الباحثين في تعقبه ذهبت بـه إلـى مـذاهب كثيـرة وعديدة ، فالبعض أرجعه للفلسفة اليونانيـة ، والـبعض أوجـد عليـه أدلـة مـن عقائد النصرانية ووجدنا البعض يرد بعض أفكـارهم اليهوديـة ، والقـول الجـامع لهذه الآراء أن فكر المعتزلة قد جمع بين كل هـذه الاتجاهـات ففيـه مـن فلـسفة اليونان ، وفيه مـن تحريفـات وعقائـد اليهـود ، وفيـه كـذلك مـن تخبطـات النصارى .

* كان للمعتزلة فضل عندما نشأ علم الكلام على أيديهم فـي صـد العـدوان علـى العقيدة الإسلامية ، ولكن فلسفاتهم قادتهم للخـوض فـي العقيـدة نفـسها فنفـوا الصفات وقالوا بالقدم ، وابتدعوا خلق القرآن ، وقـالوا بالحريـة وخلـق الأفعـال وقالوا بالخروج على الإمام الظـالم مـن بـاب الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكر وقالوا بالمنزلة لصاحب الكبيرة ما بين الكـافر والمـؤمن وهـو لـيس مـن

أحدهما وأجازوا له ظاهراً النسبة للإسلام ، وهذه الأقوال وغيرها جمعوها في أصول خمسة ، هي أصول الاعتقاد عندهم وهي : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يكون الشخص عندهم معتزلاً إلا إذا اعتقد في هذه الأصول كما هي .

* وأوجد المعتزلة لأنفسهم سند شرعي على مسمى الاعتزال الذي كان في بدايته ذماً فادعوا أن الله تعالى أنزل الاعتزال في القرآن يقصدون تأويلهم لقولة تعالى (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) سورة مريم الآية (٤٨) ولهم في ذلك كلام وأسانيد عجيبة وليس من عجب فهم من أهل صناعة الكلام ، بل هم من أبدع هذه الصنعة في الإسلام .

* وأخيراً فقد انتهت المعتزلة على أيديهم أنفسهم فهم الذين صنعوا المحنة ، محنة خلق القرآن والتي كانت سبباً في نهايتهم ، بعد أن قدر الله تعالى لهذه الأزمة أن تنتهي ولعلماء السنة الأفاضل الذين واجهوها بكل قوة أن ينتصروا بعد العذاب . والابتلاء الذين تعرضوا له فأخذ من تولوا بعد ذلك على أيدي المعتزلة وأنزلوهم عن آرائهم المبتدعة الضالة ، وانتهى دور المعتزلة من التاريخ مع نهايات العصر العباسي الثاني ، ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة وقد انخرطوا في فرق جديدة .

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين.

الهـــوامش

١- حسن إبراهيم : تـــاريخ الإســـلام الـــسياسي والـــديني والثقـــافي والاجتمـــاعي ٣٤١/١ ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة ١٤ ،١٤١٦هـــ.

٢- غالـــب عـــواجي : فـــرق معاصـــرة تنتـــسب للإســـلام ص ٣٢٣، مؤســـسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة ٣، ١٤١٨هـــ

٣- الشهرستاني : الملـــل والنحـــل ٤٨/٤٧/١ ،مؤســـسة ناصـــر للثقافـــة ، ط١ ، بيروت ،١٩٨١م.

٤- الإسفراييني : التبصير في الدين ص ٤٠ وما بعـــدها ، تحقيـــق محمـــد زاهـــد الكوثري ، القاهرة ١٩٩٥م.

٥- الـــــسمعاني : الأنـــــساب ص ٢٦ ، طبعـــــه مـــــصوره ليـــــدن ١٩١٢م ، والمقريزي : الخطط والآثار ١٦٤/٤-١٦٩ القاهرة ١٢٧٠هـــ.

٦- شـــوقي ضـــيف : العـــصر العباســـي الأول ص ١٣٤، ط دار المعـــارف ، الطبعة السادسة ، القاهرة .

٧- غالب عواجي : فرق معاصرة تنتسب للإسلام ص ٣٢٣.

٨- الفونـــسونالينو : التـــراث اليونـــاني فـــي الحـــضارة الإســـلامية ترجمـــة د. عبدالرحمن بدوي ص ١٧٣ ،ط دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٥م .

٩- أنظر : غالب عواجي : فرق معاصرة ص ٣٢٥ وما بعدها .

١٠- أنظر : المرجع السابق .

١١- أنظر : الشهرستاني : الملـــل والنحـــل ١ /٥٨ ، حـــسن إبـــراهيم : تـــاريخ الإسلام ٣٤٢/١ ، عواجي : فرق معاصرة ص ٣٢٩ .

١٢ – لم نجده بهذا اللفظ .

١٣- لم نجده بهذا اللفظ .

١٤- القاضي عبدالجبار : طبقـــات المعتزلـــة ص ٧٨ ، ط دار الكتـــاب ، بيـــروت ١٣٩٥ هـــ - ١٩٧٦م .

١٥- الفونسونالينو : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ص١٩١ .

١٦- البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٩٧ -٩٨ .

١٧- الفونسونالينو :التراث اليوناني ص ١٩١ .

١٨- د . عبدالمجيد النجار :مباحث في منهجية الفكر الإسلامي ص ١٠٠ .

١٩- محمد أحمد صبحي : في علم الكلام ١٩٣/١ ، ط دار الكتب الجامعية ، الإسكندرية ١٩٧٤م.

٢٠- كما نجده عند عبدالمجيد النجار في كتابه مباحث في منهجية الفكر الإسلامي ، فهو يرى أن فكر المعتزلة كان ثورة هامة في تاريخ الفكر الإسلامي ، ولا يبخل بمدحه كلما واتته فرصة في الحديث ، ورغم أنه لا ينكر الانحرافات الكبيرة التي وقع فيها المعتزلة ، إلا أنه لايجد مشكلة في أن يمدح فكرهم بين الحين والآخر ، ونحن لا ننكر أن المعتزلة قد جاءوا بفكر رائع في بدايته عندما وظفوه لصالح الدعوة والعقيدة ، ولكن مع تطوره عقدياً وظهور مسائل الانحراف المشهورة أصبح فكراً محرفاً أو بالأحرى منحرفاً .

٢١- عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ص ٥٢.

٢٢- د. عبدالمجيد النجار :مباحث في منهجية الفكر الإسلامي ص ١٠٥ .

٢٣- ابن النديم : الفهرست ص ١٨٠ ، طبع دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٧٩م .

٢٤- د. عبدالمجيد النجار : مباحث في منهجية الفكر الإسلامي ص ١٠٥ .

٢٥- د. محمد صبحي : في علم الكلام ص ١٩٦.

٢٦- د . عبدالمجيد النجار : مرجع سابق ص ١١٨ .

٢٧- المرجع السابق ص ١١٨ .

٢٨- غالب عواجي : فرق معاصرة ص٣٢٣ .

٢٩- ابن خلدون: المقدمة ،نشره على عبدالواحد وافي ص ٤٣١ ، ط القاهرة ١٩٦٢ م.

٣٠- الجاحظ : ١٣٤/٣ الحيوان ، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ١٣٤/٣ ، ط دار الجيل ودار الفكر ، بيروت ،١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٣١- انظر : الشهرستاني : الملل والنحل ٥٨/١ ، البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٨٧ ،عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ص ٥٢، محمد صبحي في علم الكلام ص ١٩٦.

٣٢- شوقي ضيف : مرجع سابق ص ١٣٤ .

٣٣- الشهرستاني : مرجع سابق ص ٥٣/١.

٣٤- عواجي : مرجع سابق ص ٣٣٣ ؟

٣٥- (صحيح – وأخرجه البخاري ومسلم دون قوله : إن الذي تدعونه بينكم وبين ركائبكم وهو منكر) ضعيف الجامع الصغير ٦٣٨٢ ، السنة لابن أبي عاصم ٦١٨، وهو في صحيح أبي داوود باختصار السند برقم ١٣٥٠.

٣٦- الشهرستاني : مرجع سابق ٥٣/١ .

٣٧- شوقي ضيف : مرجع سابق ص ١٣٤ .

٣٨- مصطفى العطاس: المدخل إلى عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٤٦ ، ط دار ابن حزم ، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٣٩- عواجي : مرجع سابق ص ٣٣٥ .

٤٠- مصطفى العطاس : المدخل إلى عقيدة أهل السنة ص ٤٦ .

٤١- عواجي : مرجع سابق ص ٣٣٥ .

٤٢- الشهرستاني : مرجع سابق ٥٨/١.

٤٣- نقلاً عن عواجي : مرجع سابق ص ٣٣٥.

٤٤- الفونسونالينو / التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ص ١٩٢ .

٤٥- أخرجه البخاري في صحيحه في المظالم باب من كانت عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته . حديث رقم ٢٤٤٩ ، فتح الباري ١٠١/٥ طبعة رئاسة البحوث العلمية والإفتاء السعودية ، تصحيح وتعليق ابن باز ، وأخرجه أيضاً في الرقاق ، باب القصاص يوم القيامة ، فتح الباري ٣٩٥/١١ حديث رقم ٣٣.

٤٦- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس من لا درهم له ولا متاع . فقال :إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطي هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار) حسن صحيح .

٤٧- سعد رستم :الفرق والمذاهب الإسلامية ص ٩٨-٩٩، ط دار الأوائل ، الطبعة السادسة ، سوريا، دمشق ٢٠٠٨م.

٤٨- عواجي : مرجع سابق ص ٣٣٨ .

٤٩- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في الإيمان ، باب كون النهي عن المنكر حديث رقم ٧٨- ٦٩/١ ، الكتب الستة ، ط اسطنبول ، وأخرجه الترمذي في سننه في الفتن باب ما جاء في تغيير المنكر باليد ، رقم الحديث ٢٢٦٣ ، تحفه الأحوذي ٢٩٢/٦ ، مطبعة المعرفة نشر محمد عبدالمحسن الكتبي ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ١٩٦٥م.

٥٠- أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر إسلام حمزة وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، المستدرك ١٩٥/٣ ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت بدون تاريخ وأورده المناوي في فيض القدير ١٢١/١ رقم الحديث ٤٧٤٧ ،وعزاه السيوطي إلى الحاكم والضياء عن جابر ورمز له بالصحة ،ط دار المعرفة بيروت لبنان.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- ابن حجر العسقلاني : فتح الباري في شرح صحيح البخاري ط رئاسة البحوث العلمية والإفتاء ، السعودية ، تصحيح وتعليق ابن باز .

٣- ابن خلدون : المقدمة ، نشره علي عبدالواحد وافي ، ط القاهرة ١٩٦٢م.

٤- ابن قتيبة عيون الأخبار ، ط مصر ١٩٢٥م .

٥- ابن النديم ، محمد بن إسحاق :الفهرست ، دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٧٩م.

٦-أبو عثمان الجاحظ : الحيوان دار الكتب الثقافية ، بيروت .

٧- أحمد محمد صبحي : في علم الكلام ، دار الكتب الجامعية الإسكندرية ١٩٧٤م .

٨- الترمذي : تحفه الأحوذي ، مطبعة المعرفة ، نشر محمد عبدالمحسن الكتبي ، المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ١٩٦٥م .

٩- الأسفراييني : التبصير في الدين ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، القاهرة ١٩٥٥م .

١٠- السمعاني : الأنساب طبعة مصورة ، ليدن ١٩١٢م.

١١- الشهرستاني ، أبو الفتح : موسوعة الملل والنحل بيروت مؤسسة ناصر للثقافة ط ١، ١٩٨١م.

١٢- الفونسو نالينو: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، ترجمة عبدالرحمن بدوي ، دار النهضة العربية ، القاهرة :١٩٦٥م.

١٣- القاضي عبدالجبار الهمذاني : طبقات المعتزلة بيروت دار الكتاب ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦م .

١٤- المقريزي : الخطط والآثار ، القاهرة ١٢٧٠هـ.

١٥- المناوي : فيض القدير ، ط دار المعرفة ، بيروت لبنان.

١٦- حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،دار الجيل بيروت . الطبعة ١٤، ١٤١٦هـ.

١٧- سعد رستم : الفرق والمذاهب الإسلامية ، ط دار الأوائل الطبعة السادسة سورية ، دمشق ٢٠٠٨م.

١٨- شوقي ضيف : العصر العباسي ،دار المعارف ،القاهرة ، الطبعة السادسة .

١٩- د . عبدالمجيد النجار: مباحث في منهجية الفكر الإسلامي الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ١٩٨٦م.

٢٠- د. عمر فروخ وآخرون : تاريخ العلوم عند العرب ،دار النهضة العربية ،بيروت ١٤١٠هـ.

٢١- غالب عواجي : فرق معاصرة تنتسب للإسلام ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة ٣،١٤١٨هـ.

٢٢- مصطفى بن عبدالرحمن عبدالله العطاس :المدخل إلى عقيدة أهل السنة والجماعة . دار ابن حزم ، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.